

مركز المخطوطات والتراث والوثائق

السلسلة الإرشادية

١٣

الرجال قوامون على النساء

رؤية في موضوع القوامة

بقلم

أ. هشام الشعار

منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق

الكويت ١٥٢



مركز المخطوطات والتراث والوثائق
السلسلة الإرشادية
١٣

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ
رُؤْيَةٌ فِي مَوْضُوعِ القَوَامَةِ

بقلم
أ. هشام الشعار

مَنشُورَاتُ مَركَزِ المَخطُوطَاتِ وَالتُّرَاثِ وَالوَثَائِقِ

الكويت ١٥٢



مَنشُورَات
مَركز المخطوطاتِ والتراثِ والوثائق

تطلب جميع منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق

من دار الوراقين للنشر والتوزيع - الجابرية

ص.ب : ٣٩٠٤ الصفاة 13040 الكويت

هاتف : ٢٥٣٢٠٩٠٠ - ٢٥٣٢٠٩٠١

ناسخ : ٢٥٣٢٠٩٠٢

www.makhtutat.com

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد .

فإنه من أجمل ما ذكره أهل العلم في مسألة (واضربوهن) ما ذكره القاضي الفقيه أبو بكر بن العربي عندما قال: من أحسن ما سمعت في تفسير هذه الآية قول سعيد بن جبير قال: يعظها فإن هي قبلت وإلا هجرها، فإن هي قبلت وإلا ضربها ، فإن هي قبلت وإلا بعث حكماً من أهله وحكماً من أهلها ، فينظران ممن الضر ، وعند ذلك يكون الخلع .

أما عطاء فقال: لا يضربها وإن أمرها ونهاها فلم تُطعه، ولكن يغضب عليها.

قال القاضي أبوبكر : هذا من فقه عطاء ، فإنه من فهمه بالشريعة ووقوفه على مظانّ الاجتهاد علم أن الأمر بالضرب هاهنا أمرُ إباحة ، ووقف على الكراهية من طريق أخرى في قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبدالله

بن زمعة :«إني لأكرهُ للرجلِ يضربُ أمته عند غضبهِ ، ولعله أن يضاجعها من يومه». (رواه البخاري).

وروى ابن نافع عن مالك عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استؤذن في ضرب النساء فقال : «اضربوا ، ولن يضرب خيارُكم». (حسن البيهقي، الألباني). فأباح وندب إلى الترك ـ وإن في الهجر لغاية الأدب.

والذي عند (ابن العربي) أنَّ الرجال والنساء لا يستوون في ذلك ؛ فإن العبد يُقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة ؛ ومن النساء بل من الرجال من لا يقيمه إلا الأدب ، فإذا علم ذلك الرجل فله أن يؤدّبَ ، وإن ترك فهو أفضل .

وإذا لم يبعث الله سبحانه وتعالى للرجل زوجةً صالحة وعبداً مستقيماً فإنه لا يستقيمُ أمره معهما إلا بذهاب جزءٍ من دينه ، وذلك مشاهدٌ معلوم بالتجربة .

قال شريح القاضي :

رأيت رجالاً يضربون نساءَهُم

فَشُلت يميني يوم أضربُ زينَبا

الخلاصة : قال العلماء : ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الضرب ، وبين أنه لا يكون مبرّحاً ، أي لا يظهر له أثرٌ على البدن من جرح أو كَسْر.

والله أعلم ، وهو المستعان على كل أمر من أمور الحياة وأعبائها ، وهو الموفق إلى كل خير.

كتبه

د. محمد بن إبراهيم الشيباني

رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق

مُقَدِّمَة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فهذا موضوعٌ مهمٌ جداً من موضوعات الحياة الأسرية في الشريعة الإسلامية ، تصدَى له كثير من المختصين ، من علماء وفقهاء ، ومن الدعاة أيضاً ،ثم من مفكرين وباحثين من غيرهم ، وما كنتُ راغباً في الكتابة في هذا الموضوع لكثرة ماقيل فيه، وإنما دعاني إلى الكتابة فيه أمور عدة أبرزُها ما لاحظتهُ من وجود اختلافات بين آراء الطوائف السابقة التي أشرتُ إليها آنفاً ، ومن قلق كثير من المسلمين في تقبّلهم لمفاهيم القوامة ، ثم من استغلالِ خصوم المسلمين هذه المفاهيم واتجاههم للتشنيع على الشريعة الإسلامية والقول إن القِوامة ظلمٌ للنساء ، وتعدٍّ على حقوقهن ، وإزراءٌ بمكانتهن الاجتماعية .. وهكذا وجدتُ نفسي بحاجةٍ إلى المساهمة كغيري في توضيح أمورٍ بَدتْ لي مهمة وضرورية، راجياً أن تكون جديدة ومفيدة .

وسأحاول منذ البداية أن تكون رؤيتي هذه مستندة إلى حقائق ثابتة في الشريعة الإسلامية ، لابد لنا كمسلمين من التسليم بها ومراعاتها ، ثم البحث عن تفسيرها من قِبَلِ المختصين والعلماء والفقهاء وصولاً إلى الاطمئنان إلى أنها حقائق فعلاً، وهذه الحقائق عبّرت عنها آياتٌ كريمة من القرآن الكريم ومن السنّة المطهّرة الصحيحة ، كما عبّر عنها تفاعُلُ المسلمين معها في عصر النبوّة الأول .

وأرجو من الله تعالى أن يكون جهدي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وبريئاً من أي غرض دنيوي ، حيث يسهل على أي إنسان توجيه النصائح للآخرين ولاسيما في الموضوعات الأسرية وشؤون النساء .

الفصل الأول

حقائق عن موضوع القوامة
في القرآن الكريم

ذكرت القوامة في القرآن الكريم في مواضع عدة، وهي:

أ- في سورة النساء: قال الله تعالى في هذه السورة في الآيتين(٣٤-٣٥): ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

ب- في سورة البقرة: قال الله تعالى في الآية: ٢٢٨

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ج- في سورة آل عمران: قال الله تعالى في الآية ٣٦:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

فهذه ثلاث سُوَرٍ ذكرت فيها المُفاضلة بين الرجال والنساء، حيث ذكرت القوامة بصريح العبارة في سورة النساء، ثم ذكر مايُشبهها في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ ثم ذكرت المُفاضلة بين الذكر والأنثى في سورة آل عمران حيث يحكي المولى عزّ وجلّ عن امرأة عمران قولها ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ في إشارةٍ إلى أنّ الذكر أقدرُ من الأنثى وأفضل .

وقبل أن نتحدّث عن تفسيرعلماء الأمة وفقهائها والمُختصين منهم لهذه النصوص القرآنية الشريفة ، نُنَبِّهُ إلى أن القوامة لاتعني قوامة الزوج على زوجته فحسب ، بل تعني قوامة الرجال على النساء عموماً .

ولبيان تفسير هذه الآيات، فقد بحثتُ عن تفسيرها في مرجعين من كُتب التفسير، هما :

١ – (زبدة التفسير من فتح القدير) الذي ألّفه «محمد سليمان عبد الله الأشقر» أستاذ التفسير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في ثمانينيات القرن الماضي . وقد اعتمد في

تأليفه كما هو ظاهر من عنوانه على تفسير (فتح القدير) للإمام الشوكاني واسمه : «محمد بن علي بن محمد الشوكاني». وهو من أئمة العلوم الدينية في القرن الثالث عشر الهجري . وقد جمع الشوكاني بين العلم بالكتاب المبين ، والبصيرة في سنّة النبي الأمين عليه الصلاة والسلام ، والفقه في الشريعة وأحكام الدين ، وأتقن فروع الفقه وأصوله ، واللغة وعلومها، وقد جمع في تفسيره هذا بين فنّي الدراية والرواية .

٢- أما المرجع الثاني الذي رجعتُ إليه في تفسير آيات القوامة، فهو التفسير الذي اكتسب شُهرةً واسعة في عصرنا هذا باسم (صفوة التفاسير) الذي ألّفه الشيخ المعاصر (محمد علي الصابوني) ، أحدُ أبرز علماء أهل السنّة والجماعة في عصرنا هذا وهو متخصّصٌ في التفسير، وقد تخرّجَ في الأزهر الشريف ونال منه الشهادة العالمية في القضاء الشرعي، ثم درّسَ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة لمدةٍ تُقارب الثلاثين عاماً ، ثم عُيّنَ باحثاً علمياً في جامعة أم القرى ، وعمل كذلك في رابطة العالم الإسلامي كمُستشار . وكان قبل ذلك قد حصل على جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. وقد ألّفَ هذا العلاّمة تفسيره

تم بحمد الله